

## تتمة



في شهر حزيران من عام 2008م، سافرت إلى مدينة كيب تاون في جنوب إفريقيا لحضور المنتدى الاقتصادي العالمي المخصص بإفريقية، وقد تحدثت فيه عن التقنية المستخدمة في الدول النامية. كنت عضواً في حلقة نقاش يديرها دان شاين من مبادرة أدفانست مايكرو ديفايسز 15×50 التي تعمل على إيصال الإنترنت إلى نصف سكان العالم مع مطلع عام 2015م. وكنت قد قابلت دان في أروشا، وأصبحنا أصدقاء. لذا، فعندما طلب إليّ التحدث والمشاركة في ذلك الحدث المهم، وافقت بكل سرور.

ولمّا حان دوري في الحديث، شرحت للحضور كيفية بنائي الطاحونة الهوائية، وأخبرتهم بشأن العقبات المختلفة التي واجهتني، وبخاصة عند البحث عن مولّد. أخبرتهم أيضاً عن جيفري، وكيف كنت أمل أن يتمكّن من البدء بتعليم الناس في القرى المحيطة كيفية بناء طواحين هوائية في أثناء وجودي بعيداً في المدرسة. وبعد أن فرغت من حديثي، رفع بعض الحضور أيديهم، وسألوا عن رأي الحكومة المالوية في مشروعني.

فقلت: الحكومة لا تعلم شيئاً عنه. كنت متأكّداً من ذلك؛ فأنا الذي أخبرت الرئيس بذلك للتو.

كان الرئيس المالوي بينغووا موزاريكا من ضمن الحضور. وقبل ذلك ليلة، كنّا معاً على مائدة العشاء نفسها. كنت معجباً بالرئيس موزاريكا؛ لأنّه يهتم بالمزارعين أمثالنا، ويعمل ما في وسعه لكي تتمكّن عائلات كالتى أنتمي إليها من تحمّل ثمن السماد مرّة مجدداً.

كان الرئيس جالساً إلى طاولةٍ أُخرى. وبعد العشاء، مشيت نحوه، ثمَّ عرَّفت عن نفسي باللغة الإنجليزية. أخبرته أنني متحدث في المنتدى، وأنتي دُعيتُ بسبب الطاحونة الهوائية التي بنيتها.

فوجئ الرئيس، ثمَّ قال: هذه أخبار جيدة، ثمَّ وقف إلى جانبي لالتقاط صورة. كنت فخوراً جداً. وما زالت تلك الصورة معلقة على جدار في غرفة المعيشة المخصصة بوالديّ، اللذين يحرصان على أن يراها زوّارنا كافة.

بعد مغادرة كيب تاون، سافرت إلى شيكاغو جواً حيث سأكرّم في مُتحف العلوم والصناعة. وكنت قد شاركت في معرض (تقدّم سريع: اختراعات مستقبلية)، الذي يلقي الضوء على بعض التقنيات المبتكرة، والأفكار التي من شأنها تحسين وضع سكّان العالم. كان قاطع الدارة والمفتاح الكهربائي اللذان صنعتهما بداية الأمر موجودين هناك إلى جانب معروضات تحثني بأعمال أشخاص، من أمثال: إيانا هوارد، وهي مهندسة في تصميم الإنسان الآلي، عملت على مركبة سمارت ناف مارس التي أرسلتها وكالة ناسا إلى المريخ، ودانا مايرز التي اخترعت سيارة تعمل بالكهرباء، وتصل سرعتها إلى سبعين ميلاً في الساعة. كان شرفاً عظيماً لي أن أكون ضمن تلك الكوكبة من الأشخاص العباقرة، وكان من الرائع أيضاً، والغريب في الوقت نفسه، رؤية صورتي على ملصق كبير بحجم جسمي.

حين عدت إلى مالوي، قضيت الصيف برفقة عائلتي وأصدقائي، وعملت صيانة عاجلة ملحّة للطاحونة. وكنت كلِّما عدت إلى البيت وجدت أنّ إحدى الشفرات قد انفصلت نتيجة الرياح الشديدة. وقد استمر حدوث ذلك حتى بعد أن استبدلت شفرات فولاذية صنعتها من برمبل نפט بالشفرات البلاستيكية القديمة. لاحظت أيضاً أنّ النمل الأبيض قد نخر أعمدة البرج الخشبية، فأصبح تسلُّقها عند القيام بأعمال الصيانة يعدّ خطراً أكبر. وكنت أحرص على ارتداء خوذة مثل تلك التي يضعها سائقو الدراجات الهوائية؛ للوقاية في حال سقطت على رأسي.

وذات مرّة، كنت في زيارة للولايات المتحدة إبان عيد الميلاد، فتلقّيت خبراً مفاده أنّني حصلت على منحة دراسية في أكاديمية القيادة الإفريقية، وهي مدرسة ثانوية تمتدّ فروعها لتشمل دول القارة الإفريقية كلّها، ويقع مقرّها الرئيس في جوهانسبيرغ بجنوب إفريقيا.

تضمّ المدرسة طلبةً من ثلاث وخمسين دولة، وتُعنى بتدريب الجيل الصاعد من القادة في إفريقيا. وقد اختير مئة وستّ أشخاص من بين ألف وسبع مئة متقدّم للسنة الافتتاحية. كان معظم هؤلاء الطلبة من المخترعين والرياديين أمثالي، ممّن تخطّوا عقبات جسماً؛ ليوفّروا حياةً فضلى لعائلاتهم وجيرانهم. وكان الآخرون من أذكى الطلاب في بلدانهم، ممّن أحرزوا أعلى العلامات في الامتحانات الوطنية.

وعلى الرغم من الجهد المضني الذي بذلته في أثناء وجودي بمدرستي السابقة في ليلونغوي، فإنني كنت متأخراً في مادتي اللغة الإنجليزية والرياضيات. وكنت قد عرفت أنّ مدرّستي الجديدة صارمة جداً، وخفت أن يكون زملائي متقدّمين عليّ كثيراً، وأصغر سنّاً أيضاً. ولما كان التحدث بالإنجليزية من أكبر هواجسي، فقد تطوّع أحد رعاتي الأمريكيين لإرسالني؛ كي أدرس اللغة في كامبريدج بإنجلترا. فحضرت دروساً مدّة خمسة أسابيع قرب مبنى جامعة كامبريدج، ودرست اللغة الإنجليزية على أصولها برفقة طلاب من الصين، وإيطاليا، وتركيا.

وفي أثناء العطل الأسبوعية، كنت أتمشّي في المدينة القديمة، وأتعلّم عن مبانيها التي كان كثير منها قد بُني يدوياً قبل أكثر من أربع مئة عام، من دون استخدام أيّ من التقنيات الحديثة. لقد منحني ذلك ثقة أكبر بقدرتنا - نحن الأفارقة - على تطوير قارتنا؛ إذا تحدنا في تفكيرنا ومواردنا الوفيرة فحسب، من دون انتظار أحد يفعل ذلك عنّا.

بعد عودة خاطفة إلى البيت في شهر آب؛ لجمع حاجياتي وتوديع عائلتي مرّة أخرى، ركبت طائرة متوجّهة إلى جوهانسبيرغ. وكانت الحصص في الأكاديمية صارمة كما توقّعت. درست عشر مواد في الفصل الأول، منها: الكيمياء، والفيزياء، ومادة في العمل الريادي، وقد أصبحت هذه الأخيرة مادتي المفضّلة.

تقع الأكاديمية خارج جوهانسبيرغ في مبنى جميل يحتوي على أشجار عملاقة، وملاعب كرة قدم خضراء، وكثير من الطواويس التي كانت أكثر إزعاجاً في الصباح من الدجاجات الصاخبة الموجودة في بيتي. وقد شاركتُ في غرفة فتى كينياً يُدعى غيثورا، وسرعان ما أصبحنا أصدقاء. لم يكن غيثورا مضطراً إلى مشاركتي السرير نفسه، وكنت متأكداً - على أي حال - أنه يغسل قدميه أكثر من زميلي السابق في السكن.

شعرت لأول مرة منذ مؤتمر تي إي دي أنني محاط بزملاء حقيقيين يشاطرونني الدوافع نفسها. ولكن، بطريقة أعمق هذه المرة؛ فقد عانى جميعنا الأمرين للوصول إلى هذا المكان.

درس معنا في الأكاديمية ميراندا نياذي من كوازاغيلي بجنوب إفريقيا. وكان إضراب شامل للمدرسين قد شلّ مدرستها، فتولّت (ميراندا) زمام الأمور، وبدأت تدريس زملائها الطلاب الرياضيات، والعلوم، والجغرافيا، وحالت دون إغلاق المدرسة. وكذلك بيليندا مونيمو من هراري بزيمبابوي، التي ساعدت طفلة يتيمة من أبناء جلدتها على إنشاء مزرعة دجاج وتفريخ ناجحة؛ لكي تتمكن من دفع رسومها المدرسية. ومنذ ذلك الحين، افتتحت ميراندا محلاً صغيراً لأشرطة الفيديو؛ لكي يتمكن الطلاب من استعارة أشرطة تعليمية بالمجان بدل تضييع وقتهم في مراكز الخمور. درس معنا أيضاً صديقي بول لوريم (الصبي الثالث) من جنوب السودان، الذي نجا من أهوال الحرب، وعاش وحيداً من دون أبوين في مخيم للاجئين، مثل صديقي الآخر جوزيف مونيامبانزا من الكونغو، الذي فرّت عائلته نتيجة القتال، وعاشت في مخيم بأوغندا حيث تلقى جوزيف تعليمه.

لقد منحني قصص هؤلاء الأشخاص كافة إلهاماً كبيراً. حتى حينما تزداد الدروس صعوبة، وأجد عزيمة قد تراخت، فإن مجرد وجودي بجانبهم يساعدي على الاستمرار. وما زلت أسأل نفسي: كم شخصاً من أمثالنا ما زال يكافح في مسيرة حياته ورحلته؟ إن التفكير فيهم يُدغمني بمقولة قرأتها حديثاً تُعزى إلى الموقر العظيم مارتن لوتر كينغ الابن، يقول فيها: «إن عجزت عن الطيران فاركض؛ وإن عجزت عن الركض فامش؛ وإن عجزت عن المشي فاحض». إذن، يتعين علينا تشجيع أولئك الذين ما زالوا يعانون للتقدم نحو الأمام. إنني أنا وزملائي الطلاب لم نأل جهداً عن بذل مزيد من العمل البناء، والسعي

إلى إيجاد إفريقية جديدة عصرية تكون مؤثلاً للقادة بدل البائسين، وموطناً للابتكار بدل التسوّل. أتمنى أن تصل هذه القصة إلى أخواني وأخواتي ممن يعملون على رفعة أنفسهم ومجتمعاتهم، مع ما يحيط بهم من بؤس ومعاناة وشقاء. أريدهم أن يعرفوا أنّهم ليسوا وحيدين في رحلتهم هذه، وأنهم يستطيعون - بتضافر الجهود - رفع ذلك الحمل الثقيل من سوء الطالع عن كواهلهم كما فعلت أنا تماماً، واتخاذهُ مُنطلقاً نحو بناء مستقبل أفضل.